



عبادة الهوى

سورة المؤمنون (023)

محاضرة في الأردن

2024-09-30

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد أيها الإخوة الأكارم: سنتحدث اليوم إن شاء الله عن عبادة مُحَرَّمَة، هل هناك عبادة مُحَرَّمَة؟! عبادة الهوى، عبادة مُحَرَّمَة، طبعاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن هناك من يعبد عبادة مُحَرَّمَة، قال:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ، تَعَسَّ وَاتَّكَسَ، وَإِذَا شَبِكَ فَلَا انْتَقَشَ، طَوَّبَى لَعَبْدٍ أَخَذَ بَعْتَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسَهُ، مُعَبَّرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ سَقَعَ لَمْ يُسَقَعْ»** }

(رواه البخاري)

العبادة المحرَّمة هي عبادة الهوى:

فالعبادة المحرَّمة هي عبادة الهوى، أن يعبد الإنسان هواه، وأن يتخذ إلهه هواه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أَقْرَأْتِ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصَلَّهُ اللَّهُ عَلَيَّ وَعَلَّمَ عَلَيَّ سَمْعِي وَقَلْبِي وَجَعَلَ عَلَيَّ
بَصِيرَةً عِشَاوَةً قَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ □ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23)

(سورة الجاثية)

الهوى هو الميل، أن يميل الإنسان إلى شيء مُحَرَّم، فيتعلق به ثم يعبد من دون الله، فيتخذ إله (اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ) والعباد بالله، قيل النفس إلى الشيء المُحَرَّم، هوى إليه، مال إليه، قال الشاعر:

أعظم الهوان أن يعبد الإنسان هوى نفسه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (41)

(سورة النازعات)

ما هو سبب دخول الجنة؟ أن ينهى الإنسان نفسه عن الهوى، تأمره بشيء فيهاها عنه، والمتعدون عن منهج الله تعالى، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ □ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ اللَّهِ □ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)

(سورة القصص)

فالإنسان إما أنه يتجه إلى الهدى، أو يتجه إلى الهوى، ولا ثالث لهذين الأمرين لأن الله تعالى قال: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) هما طريقان لا ثالث لهما، فإما أن يتبع الإنسان الهدى أو أن يتبع الهوى، قال صلى الله عليه وسلم:

{ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فَأَمَّا المهلكات: فشح مطاع، وهوى متَّبِع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله تعالى في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبَّرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام { (رواه الطبراني في معجمه الأوسط)

معظم الناس يتعلقون بالمادة فيتبعون الشَّحَّ:

هذه مهلكات ثلاث، شحُّ مطاع: أي بخلُ يطبعه الإنسان، يعني جيبه تأمره، لا تنفق، لا تعط، دع الأموال لأولادك من بعدك، شحُّ مطاع، أي مادية، بالغرف الحديث اليوم الناس تطيع المادة، معظم الناس تتعلق بالمادة وليس بالروح، الإنسان قبضة من الأرض ونفخة من روح السماء، فمعظم الناس يميلون إلى الأرض، يتعلقون بالمادة، فيتبعون الشَّحَّ

{ إِيَّاكُمْ وَالشَّيْءَ } **فإنما هلك من كان قبلكم بالشيء، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم**

بالبطية فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا {

(رواه أبو داود وصححه الألباني)

اليوم المادية مسيطرة، المادية المقيتة مسيطرة على الناس، الحديث عن الروح، عن الغيب، عن الآخرة، لا تجد إلا قليلاً من الناس يتحدثون بهذه المعاني، حتى ثبت هذه اللوثة إلى كثير من المسلمين، فيقول لك أنا عقلائي، تكلم معي بالورقة والقلم، لا تكلمني عن الغيب، ديننا كله غيب، فإن لم أحدثك عن الغيب فعن ماذا أحدثك؟! القرآن كثير منه غيب، إيمان باليوم الآخر، وبالملائكة، وبالكتب، وبالرسل، وإيمان بالبعث، وإيمان بالحساب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاطَلَعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)

(سورة الصافات)

عن ماذا يحدثنا القرآن؟ عن الغيب (فتشُّح مطالع) أي المادية مسيطرة على الناس، لا يتحدثون عن الآخرة، لا يتحدثون عن الروح، وإنما تعلقوا بالدنيا، وكأنها منتهى الآمال، ومحط الرجال.

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا" ذلك مبلغهم من العلم، الدنيا مبلغ العلم، أي هو آخر ما يصل إليه الدنيا، بعد الدنيا بلحظة لا يعرف شيئاً، اليوم أحياناً يُجرون مقابلات تخرج على اليوتيوب، ربما يكون بعضٌ منها مصطنع، لكنها تُشير إلى حقيقة موجودة للأسف، وهو أنه يسأل بعض الناس أسئلة بسيطة جداً في الدين، يقول له أكمل سورة الإخلاص أو أكمل سورة الناس، يقول له لا أعرف، لا أحفظها، يسأله من النبي الذي كذبه قومه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ **فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ
وَهُمْ ظَالِمُونَ (14)

(سورة العنكبوت)

يقول لا أعرف، أسأله كم هو سعر الدولار اليوم فُجيبك فوراً، فالناس عموماً أعرضوا عن الدين، أعرضوا عن الآخرة، أعرضوا عن الغيب، تعلقوا بالمادة، هذا معنى (شُحُّ مطالع). قال: (وهوَى مُتَّبِعٌ) موضوع حديثنا، يتبع هواه (وإعجابُ المرء بنفسه) سنعود إلى اتباع الهوى، (وإعجابُ المرء بنفسه) أي أنا أفهم وغيري لا يفهم، هذا هو الرأي وهذا هو الحق، وما أعرفه هو الصواب وغيري على خطأ، أمّا هذا منهج الإمام الشافعي: "قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب" لا يعرفه (وإعجابُ المرء بنفسه) فالمهلكة الثانية هي الهوى المُتَّبِع، أن يتبع الإنسان هواه، انظروا إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالُوا لَوْلَا نُوحِيَ إِلَيْنَا آيَاتُ رَبِّكَ إِنْ كُنَّا نَحْمِلُ الْوِجْدَانَ عَلَيْهِمْ وَإِذْ قَالُوا لَوْلَا نُوحِيَ إِلَيْنَا آيَاتُ رَبِّكَ إِنْ كُنَّا نَحْمِلُ الْوِجْدَانَ عَلَيْهِمْ **وَإِذْ قَالُوا لَوْلَا نُوحِيَ إِلَيْنَا آيَاتُ رَبِّكَ إِنْ كُنَّا نَحْمِلُ الْوِجْدَانَ عَلَيْهِمْ** (175) **وَلَوْ يَشَاءُ رَبُّنَا لَنَزَّلْنَا آيَاتِنَا فِي سُبُطٍ مُنظَّرةٍ لِنُفِثَ بِهِمْ وَنَلْقَاهُمْ لَمَّا أَصْبَحُوا بِطُورِ صِينٍ** **وَإِذْ قَالُوا لَوْلَا نُوحِيَ إِلَيْنَا آيَاتُ رَبِّكَ إِنْ كُنَّا نَحْمِلُ الْوِجْدَانَ عَلَيْهِمْ** **وَإِذْ قَالُوا لَوْلَا نُوحِيَ إِلَيْنَا آيَاتُ رَبِّكَ إِنْ كُنَّا نَحْمِلُ الْوِجْدَانَ عَلَيْهِمْ** (176)

(سورة الأعراف)

هذا كلام القرآن العظيم (آيتنا آياتنا فانسَلخ منها) آناه الله الهدى، الكون يدل على وجود الله ووحدانيته وكماله، آيات كونية، الآيات القرآنية (آيتنا آياتنا) يقرأ القرآن الكريم، الآيات التكوينية تدل على الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مضارع الأمم السابقة، ما فعله الله بالطغاة والجبارة، كأنه لا يرها (فَابْسَلَجَ مِنْهَا) خرج منها تماماً، قال: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا بِهَا) كان يمكن أن يجعله الهدي في السماء، أن يرفعه الله إلى عالم الروح، إلى عالم السكينة، إلى عالم الراحة والطمأنينة (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا بِهَا) لو سأل إنسان لماذا لم يرفعه الله ما دام ولو شئنا؟ (وَلَيْكُنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) بسببه هو، بقي في الطين، في أحوال الأرض، لم يرق إلى وحي السماء (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فالهوى المُتَّبَع اليوم مصيبة، والمصيبة الأكبر أن الهوى المُتَّبَع اليوم لا يُسَمَّى هوى، النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح يقول:

{ عن أبو مالك الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **** "لَيْشَرَبَنَّ تَأْسُنُ مِنْ أُمَّتِي الْحَمْرُ

يُسَمُّوَنَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا "

(صحيح البخاري)

المصيبة الأكبر أن الهوى المُتَّبَع اليوم يسمونه بغير أسمائه فلا يُسَمَّى هوى:

مشروبات روحية، لا يُسَمِّيها خمر، يعطيها أسماء برّاقة، هذا ينسحب على كثير من واقعنا اليوم، الربا يُسَمُّونه بغير أسمائه، فوائد، التفلت من منهج الله يُسَمُّونه تقدّم، الالتزام بمنهج الله رجعية، النفاق لباقة، دبلوماسية، الرشوة هدية، العمل الملتوي فلان شاطر، يُسَمُّونها بغير أسمائها، منهج عام، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب على الخمر، لكنه أصبح منهاجاً عاقلاً، وبالمناسبة أعمق من ذلك، الدجال سيأتي، وهذا نص في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن به، شخص له مواصفاته، لكن هو الآن للأسف الشديد جاء بكل مواصفاته قبل أن يأتي بنفسه، فالأرض مُهَيَّئَةٌ له، نسال الله السلامة، وأن يعصمنا من فتنة الدجال.

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يُسَلِّم من صلاته إلا يستعيز من أربع، واحدة منها فتنة الدجال

{ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن

عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات **** ومن شر المسيح الدجال "

(رواه مسلم)

وكان يُحذّر أمته منه، لكن مواصفاته أصبحت موجودة في العصر، الطاغية المجرم الإرهابي يصف من يقف ضده ليحمي نفسه من شرّه بصفه بالإرهابي، دجل، الإعلام دجل، خلاف الحقائق، فمواصفات الدجال وهو أنه قمة الكذب، ليس الكذب، الدجل، الكذب يكون القصة لها أصل مُعَيَّن، لكن يُحَرِّفها يكذب، كذب، لكن هذا دجال يُدَجَّل، اليوم الأمور التبتت إلى درجة الدجل، ما أكثر الدجاجة، فأصبح العصر للأسف مُهَيَّأً للدجال، بعض الناس كانوا يقولون كيف سيأتي الدجال مع كل هذا التحذير! والنبي صلى الله عليه وسلم وصفه، والعين طافية، وينشر طبرية، كل الأمور واضحة، كيف يمكن لشخص به عقل أن يتبعه؟! الآن هناك دجالون يدجلون ويعلمون أنهم يدجلون، وهناك من الناس من يمدحونهم، ويقفون في صفهم، وبناصرونهم على طغيانهم، أين المشكلة؟! اليوم بعض الناس يمسكون علبه السجائر ويقرؤون عليها خطر مميت بسبب السرطان والموت، وبعد ذلك يُشعل السيارة وأخذها! فالمعلومة ليست دائماً تُجبر صاحبها على الصواب، إذا لم يكن هناك منهج إلهي لا يُجيره، فالدجل موجود اليوم والناس يتبعون كل ناعق، وكل صيحة، وكل كلامٍ من شرق الدنيا أو من غربها (وإعجاب المرء بنفسه) الهوى المُتَّبَع اليوم للأسف، هو السيمة العامة التي يعيش عليها الناس نسال الله السلامة.

لكن المصيبة كما قلت في أنهم يُسَمُّونها بغير أسمائها، ذكرت الخمر والربا وغيرها، والهوى اليوم يُسَمَّى بغير أسمائه، والآن سأدخل في العمق قليلاً، الهوى اليوم يُسَمَّى البعض عقل، اليوم بعض من يتبعون أهوائهم يُسَمُّونه اتباع العقل، عبارة لطيفة برّاقة، هل هناك أحداً تقول له عقل يقول لك دعني منه؟ عقل، فهم، نصح، فهناك اليوم من يتبعون الهوى بإسم اتباع العقل، يقول لك نحن المدرسة العقلانية، نحن نتبع عقولنا، ليس الهوى، طبعاً العقل نحن لا نُكِر دوره، ولا نُكِر أنه عملية مهمة، وأن هذه العملية إن وجهت توجيهها صحيحاً العقل هو الفهم، لأن العقل ليس جوهرًا، لا تشريحياً، سريرياً لم يجدوه كموجود، ربنا عز وجل قال العقل في القلب، عملية تتم في القلب، الله أعلم بقلب النفس أم بالقلب المضخ أم بالدماغ، لكن ليس له جوهر، فالعقل هو عملية، عملية مهمة جداً يقوم بها الإنسان تميّزه عن سائر المخلوقات أنه يعقل، يربط الأمور ببعضها، كلمة العقل في الأصل من الربط

{ قال عليه الصلاة والسلام للذي سأله: يا رسول الله أعقلها -أي الناقه- وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟! قال: اعقلها وتوكل }

(رواه الترمذي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْعُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا تَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْتَبِ
بِهِ الْأَرْضَ نَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)

(سورة البقرة)

العقل هو فهم الأشياء وربطها:

يربط صاحبه، يمنعه من الأشياء التي تشبهه في الدنيا والآخرة، ففي إنسان عاقل، وإنسان ليس بعاقل، فالعقل مهم، والعقل أداة مهمة جداً من خلالها يتبين الإنسان صحة النقل ويفهم من خلالها النقل، الآن أنا أمارس عمليات عقلية، أحدثكم بحديث صحيح، من أين أتيت أنه صحيح؟ نقلاً عن من صحَّحه من أهل العلم بناءً على معطيات عقلية، ثم أشرحه بما يفتح الله تعالى به، من أين أشرحه؟ بالربط، أربط بين الآية مع الحديث، فالعقل عملية مهمة جداً، لكن أين يتبع الإنسان العقل أو أين يتبع هواه تحت مُسَمَّى العقل فهنا المشكلة، عندما يبدأ ويقول لك قال لي عقلي، فانتظر الكوارث، لأن العقل لا يقول لك شيئاً، الذي يقول هو المنهج، القرآن والسنة، عقلك يفهم المنهج أمّا عندما عقله يقول له ما الذي يجب أن يفعله، عقلها يقول لها الحجاب تخلف، عقله يقول له الربا اليوم لم يعد ربا، هذا عمليات تبادل، انتهى، هذا الربا القديم لم يعد موجوداً، عقله يقول له، عقله يقول له الاختلاط غير المنضبط اليوم حضارة وتقدم، يقول لك والله أنا بعقلي لا أرى شيئاً في ذلك، ومن قال لك إن عقلك يستطيع أن يقول لك ما الذي يصح وما الذي لا يصح، عقلك يؤيد التص، أمّا إذا هناك تص نغف جميعاً أمامه، إذا قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278)

(سورة البقرة)

ترك الربا، فالعقل لا يأتي بمعلومة أنا سأضرب لكم مثلاً: افترضوا أننا اليوم لا نعرف التيمم، نحن لم يصلنا حكم التيمم، الآن فقدنا الماء لسبب أو لآخر، قمت أنا لأتوصلاً لا يوجد ماءً واقترب أذان العشاء، وسيفوت وقت المغرب، سألت الجيران لا يوجد عندهم ماء، وإذا أردت الذهاب من أجل الماء فالمكان بعيد، ماذا أفعل؟ الآن كل واحد سيقول له عقله شيئاً، الأول سيقول له عقله صل بلا وضوء، الثاني قال له عقله بالنسبة يوجد حليب توضع باللبن، الثالث قال له عقله أجل الصلاة حتى تجد الماء، غداً أو بعد غد تقضي ما فأنك من صلوات، كل واحد يقول له عقله، أمّا التص أنه إذا ما وجدت ماءً فهناك تراب، بالظاهر الماء للنظافة، التراب ليس به نظافة، هذا هو التص، الآن كلنا أوقفنا عقولنا واتبعنا التص، هذا هو اتباع الهدى، وهذا الذي قصدته بأن اتباع العقل أحياناً هو اتباع للهوى، فالعقل مهم، والعقل هو فهم الأشياء وربطها، وهو مطلوب شرعاً، والله تعالى ذكر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَمَنْ تَعَمَّرَهُ نَكَسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)

(سورة يس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)

(سورة الصافات)

في القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يَذُكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَرُقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَتًا مَّا خَلَقَتْ هَذَا بَاطِلًا شُبْحَاتِكَ قَفَا عَدَابِ النَّارِ (191)**

(سورة آل عمران)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ **أَفَلَا يَذُكُرُونَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)**

(سورة محمد)

اتباع الهوى أحياناً يكون عبر تسمية اتباع العقل:

يقال أنها في ألف آية تقريباً، متعلقات التفكير والتدبر والتذكر والتعقل كلها في كتاب الله، أمعن النظر، أشغل عقلك، لكن عندما يصبح العقل شيئاً ثميناً جداً في مقابل التص، يُحكّم العقل في النقل ثم في اتباع الهوى، المدرسة العقلانية، نحن جماعة العقل، ما أدراك أنّ هذا الكلام صحيح، تغيرت الأحكام اليوم، الزمن تغير، هذا الذي نتابعه اليوم عبر وسائل التواصل، فاتباع الهوى أحياناً يكون عبر تسمية اتباع العقل، أحياناً يكون عن طريق تسمية اتباع العصر، العلم، متطلبات العصر، والكلمات بَرّاقة، والجيل الشاب نشأ على أنّ هذا العصر هو عصر العلم، وعصر العقل، وعصر التقدم والحضارة، فتجذب هذه المصطلحات، نقول له نعم نحن مع الفهم والتطور وتقدّم المسلمين، لكن لسنا مع إحلال العقل مكان النقل، بحيث يصبح أداة تشريعية، العقل لا يُشرّع، العقل يفهم الشرع، لكنه لا يُشرّع.

العقل مربوط بالبيئة ولا يلزم صاحبه بالصواب دائماً:

أحبابنا الكرام:

أولاً: العقل مرتبط بالبيئة، مرتبط بالواقع، الآن أخرج إنساناً من قبره جداً، مات قبل مئة سنة، وقل له الآن أنا أتكلم هذا الكلام والناس في الولايات المتحدة الأمريكية بأقصى الدنيا يتابعون الآن بالصوت والصورة بهذه اللحظة، يقول لك كيف ذلك؟! تقول له هل ترى هذا الكرت الصغير، هذا يحتوي كل هذه المكتبة من هذا الحائط إلى هذا الحائط، حفظناها هنا، يقول لك أنت مجنون، تقول له بل أنت المجنون، لا هو سيقنع بعقلك ولا أنت ستقنع بعقله، هو لم يخطئ، لكن هو بيئته ومعطيات عصره لا تسمح له بأن يتخيل أنه يمكن أن يجمع هذا الكم من المعلومات في رُقاقة صغيرة، لا يستطيع تحمل ذلك، أمّا نحن معطيات عصرنا تسمح لنا بذلك، فالعقل مربوط بالبيئة، فإذا إنسان قال لك أريد أن أتبع عقلي، قل له حدد لي أي عقل؟ لأن اليوم هناك ثمانية مليار إنسان أي ثمانية مليار عقل، فإذا كان المرجح هو العقل فأى عقلٍ تتحدث عنه أنت، حدد لي ما هي مواصفاته، عقلي أو عقلك أو عقل الأمريكي، حدد لي أي عقل، فالعقل مربوط بالبيئة.

الأمر الثاني: أنّ العقل لا يلزم صاحبه بالصواب دائماً، ليس بالضرورة، اليوم أناسٌ كثيرون وصلوا بعقولهم إلى أنّ الرياضة مفيدة، لكن الذين يخرجون صباحاً للرياضة فلانل جداً، لا يشكلون عشرة بالمئة من مجموع المقتنعين عقلاً بأهمية الرياضة، مليون مدخن ثمانمئة ألف منهم مقتنعون بأنّ الدخان مضرّ بالصحة، لكن الذين ألزمهم عقلهم بهذا الصواب لا يجاوزون واحد بالمئة، فالعقل لا يستطيع أن يلزم صاحبه بالصواب، ولو وصل إلى الصواب لا يلزمه، ربنا عزّ وجل يريد أن يلزمنا بالصواب من خلال شرعه ودينه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)

(سورة فصلت)

لما وصف الله تعالى نطق نبيّه، زكّي كلامه فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)

(سورة النجم)

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) ما قال وما ينطق عن عقله، لأن الهوى أشكأ وألوان، منها أنه يقول نطق عن عقله، (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) مرة شيخنا الدكتور راتب حفظه الله، شرح لي هذه الآية منذ عشرين عاماً بطريقة جميلة جداً، قال لي ذهبت إلى دكان لبيع الستائر فقال لبائع الستائر أريد ستارةً للرائحة عندي، والرائحة عندي عرضة متر فكم متر أحتاج؟ فقال: القاعدة عندنا معروفة بعالم الستائر، تأخذ عرض الرائحة وتضرب باثنان وتزيد نصف، فإذا كان عندك متر تحتاج إلى مترين ونصف، فاتفقوا على القاعدة، فبحث الشيخ عن الستارة المناسبة باللون المناسب والنقش المناسب، قال له هذه، فلما قاسها وجدها مترين فقط، والقاعدة تقول يلزمه مترين ونصف، والشيخ يريد هذه حصراً لأنه اقتنع فيها، فنظر البائع قليلاً وقال له هذا المُطَرِّز إذا فردناه يكون أجمل، فلا يحتاج إلى مترين ونصف، يكفي مترين فقط، بلحظة واحدة عيّر القاعدة من أجل أن يبيع، فهذا نطق عن الهوى، هو هوى نفسه أن يبيع، فلم تعد قاعدة ما دام أنت تُعيّر القاعدة لكل شخص حسب البيع، فالنطق عن الهوى كثير اليوم، الناس كثيراً يحدثونك بطريقة يكون هناك هوى نفس بالداخل، فهو يتكلم بطريقة توافق هوى نفسه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ).

من أسوأ الأمور التي تؤدي إلى اتباع الهوى مجالسة أصحاب الأهواء:

من أسوأ الأمور التي تؤدي إلى اتباع الهوى مجالسة أصحاب الأهواء، يعني الإنسان عندما يُكثر الجلوس مع أصحاب الأهواء، يهواهم ويهوي إليهم فيعبد هواه بعد حين، لذلك كان الحسن البصري يقول: "إِتِّكَمَ وَمَجَالَسَةَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ" الذين يتكلمون كثيراً بهوى النفس من غير انضباط بمنهج الله، بكتاب الله وسنة رسوله لا تجالسهم، ومما يؤدي أيضاً إلى اتباع الهوى طول الأمل، كان السلف يقولون: أخوف ما نخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، يوجد ربط بين طول الأمل واتباع الهوى، لأن الإنسان عندما يطول أمله وينسى أن هناك موعداً للرحيل، يُتبع هوى نفسه، لكن عندما يدرك أن الوقوف بين يدي الله قريب يتبع هدى الله، حسب النظرة عنده، شيئا ما يؤديان إلى اتباع الهوى، مجالسة أصحاب الأهواء وطول الأمل، بحيث لا يذكر الإنسان الموت ولا يتذكره فيتبع هواه، لأنه يريد الدنيا، والدنيا هوى.

أما العلاج لاتباع الهوى، فإن الله تعالى ذكره في الآية التي ذكرتها في بداية اللقاء (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) وذكره البوصيري في قوله: فعلاج اتباع الهوى أن ينهى الإنسان النفس عن الهوى، أي المجاهدة، أن يجاهد نفسه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)

(سورة العنكبوت)

قال السلف: (جَاهَدُوا فِينَا) أي عملوا بما علموا فأورثهم الله علم ما لم يعلموا، ربنا عز وجل من يعمل بما علم يورثه علماً جديداً يتعلمه، أما الذي يقف عند المعلومة دون أن يجاهد نفسه ويحمل نفسه على القيام بها، فهذه مشكلة كبيرة (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) فعلاج اتباع الهوى أن يحمل الإنسان نفسه.

مثال: الفراش دافئ وأذن الفجر ما العلاج؟ الهوى أن تبقى في الفراش، اتباع الهوى أن يبقى في الفراش، اتباع الهدى أن تقوم للصلاة، ما المطلوب لعلاج هذا الاتباع للهوى؟ أن تنهض وتجبر نفسك، ثاني يوم أسهل، ثالث يوم أسهل، رابع يوم أصبحت عادة ألقها الإنسان، يصبح بالعكس تماماً، يقول لك إن لم أصل الفجر اليوم لا أعلم ما يحدث لي، أكون مُعكّر، لأنه ألقى صلاة الفجر بعد حين، وأيضاً كل شيء كذلك، غض البصر، حفظ اللسان، إنفاق المال في سبيل الله، ترك المال الحرام، كله يحتاج إلى مجاهدة، وهذا من أعظم الخوض في نفس الإنسان، النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْجَلْمُ بِالتَّحَلُّمِ،** وَمَنْ يَتَحَلَّمِ يَنْتَحِرِ الْحَبْرَ بَعْطَةً، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْقُهُ {

(رواه الطبراني وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة)

انظر إلى الدقة، اليوم يقول لك عوّذ نفسك، يعطيك هذه الكلمات البرّاقية، جميل لا مانع، بالبرمجة اللغوية العصرية بالعلوم الحديثة، إبدأ من النهاية، عوّذ نفسك، استيقظ للهمة، قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْجَلْمُ بِالتَّحَلُّمِ) وقس عليها، الكرم بالتكريم، العفة بالتعفف، أن تبذل جهداً في سبيل الوصول إلى العلم فتتعلم، أنا غضوب لا أستطيع، إذا إنسان تكلم كلمة أمامي أعصب، لا تحدثني أنا هكذا خلقني الله، لا هذا غير صحيح (الجلْمُ بِالتَّحَلُّمِ) درّب نفسيك، أول مرة صعبة، أن تُستغفر وأن تقول أعوذ بالله، بسم الله وتجلس مكانك، تُغيّر موضعك، تنصرف من المكان صعبة، مُعتاد إذا أحد أثاره أن يُثار فوراً، عوّذ نفسه على الحلم فتحلم فأصبح حليماً، فكل الأخلاق الحسنة يكتسبها الإنسان.

الطباع لا يؤاخذ عليها الإنسان لكن الأخلاق التي سوف يُحاسَب عليها:

لا تُنكر أن هناك طبعاً نحن نختلف عن بعض، هناك طباع كثيرة، هناك إنسان كَلِي وهناك إنسان جزئي، هناك إنسان يحب السمّ، هناك إنسان يميل إلى النوم، هذه طباع لا يؤاخذ عليها الإنسان، لكن الأخلاق التي سوف يُحاسَب عليها لو لم يكن بإمكانه أن يغيّرها لكان التكليف عبثاً، كيف يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، **أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي، قَالَ : لَا**

تغضب، **فَرُدُّ، قَالَ : لَا تَغْضَبُ {**

(رواه البخاري)

إذا كان غير قادر على ترك الغضب فكيف يوصيه؟ معناها التكليف عبث، إذا إنسان قال لك أنا غضوب لا أستطيع إلا أن أعضب، والنبي يقول له لا تغضب، ولا يستطيع، هل يأمر الله أو نبيه بشيء لا يُستطاع؟! حاشاه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ تَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن
سَبَبْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

(سورة البقرة)

فما دام الشرع كَلَّفَنَا بالأمانة، فنستطيع أن نحمل أنفسنا عليها، وما دام كَلَّفَنَا بالحلم فنستطيع أن نتحلم، وما دام كَلَّفَنَا بالكرم فينبغي أن نتكرم حتى نصبح كرماء.

أحياناً الإنسان يكسب طبعاً من بيئته، من مجتمعه، من ثقافته، من ظروفٍ مرَّ بها، لكن هل هي قدرٌ محتوم لا يستطيع تغييره؟ إذا كان لا يستطيع تغييره وهو مكلفٌ بتغييره فإذا هُيِّأَ مشكلة، ما لست مكلفاً بتغييره يُطع المرء على الخلال كلها، هناك طباع يُطع الإنسان عليها، يعني طبعه، طبعه أنه كلي، طبعه أنه جزئي، بعلم النفس يقول لك هناك واحد كلي وواحد جزئي.

مثل إنسان ذهب لزيارة الوزير الفلاني من أجل إمضاء معاملة، فذهب فلم يجده، هناك نوعان من الشخصيات، الشخص الأول تلقاه تقول له قايلت الوزير؟ يقول لك قايلته ورفض، لم يرض أن يوقع، الثاني يحكي لك القصة بشكل مختلف، والله اليوم خرجت من الصباح وجلست عنده نصف ساعة، والدخول عنده صعب جداً لكثرة المواعيد، فنقول له يعني قايلته؟ فيقول لك انتظر ساتيك بالكلام، جلسنا أكثر من نصف ساعة، وبعدها قال لديه اجتماع، تقول له يعني لم تقابله؟ فيقول لك انتظر سأكمل كلامي، ثم انتظرت نصف ساعة، وبعد ذلك؟ عاد من الاجتماع، قايلته؟ ساتيك بالكلام، وآخر المطاف أدخلوني لعنده، قلت له وشرحت له وأخذت وأعطيت معه، بالنتيجة يعني وقع؟ لا لم يوقع، ولكن القصة أخذت عشر دقائق كلام، الثاني قايلت الوزير؟ قايلته ورفض، كلمتين، لا يحب الخوض في التفاصيل، هذه طباع، الناس طباع، شخص كلي وشخص جزئي تفصيلي.

يجب على الإنسان أن يحمل نفسه على أن يتبع الهدى وأن يترك الهوى:

وعلى فكرة النساء الأكثر تفصيلية، الرجال الأكثر كليّة، النساء تفصيلي أكثر، وهذا شيء طبع الله عليه المرأة من أجل أن ترعى بيتها، جزئيات البيت، تربية الأولاد، متابعة الولد، فرينا فطرها على الجزئيات بشكل أكثر، تتبع التفاصيل، جزئية أكثر، الرجال غالباً يحب أن يقصر الكلام من آخره، فقصدت أنه هذه طباع كلي وجزئي، هذه لن يحاسب عليها الإنسان إن كان كلي أو جزئي، تفصيلي أو شمولي لن يحاسب، لكن ما نحن محاسبون عليه يجب أن نحمل أنفسنا على تغييره، اتباع الهوى ليس موضوع محاسبين عليه، الموضوع أن اتباع الهوى يودي بصاحبه في النار والعباد بالله.

فيجب على الإنسان أن يحمل نفسه على أن يتبع الهدى وأن يترك الهوى، وهذا علاجه كما قلنا بأن ينهى النفس عن الهوى، هي تطلب شيئاً وهو يمنعها، كيف ابنك أحياناً أنت تربيته، دائماً يطلب الحلوى وهذه السكريات الكثيرة أصبحت مُضرة به، وأصبح عنده سمنة، والطبيب قال لك يجب أن توقف له الحلويات وهو معتاد، فأنت في المرة الأولى تعاني معه، يصل صوته لأجر الحي، ويزعجك ويزعج وبيكي وأنت تنهائه، ثاني يوم أخف، وثالث يوم أخف، وبعد ذلك تضع له برنامج تقول له بالأسبوع عندك مرة واحدة الحلويات فقط حتى يعتاد، فينتقل من مرحلة المجاهدة إلى التعود على الحالة الجديدة، إلى التعود عليها، والنفس عاملها أنت كالطفل، دائماً لديه احتياجات، قد تذهب باتجاه الهوى لأنه أسهل على النفس من الهدى، الهوى لا تكليف فيه، افعل ما شئت، فهو أسهل، فالنفس تذهب باتجاه الهوى، لكن مصيره أنه يهوي بصاحبه في النار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَامُهُ هَاوِيَةً (9)

(سورة الفارعة)

والعباد بالله، فاحمل نفسك ولأحمل نفسي دائماً على أن ينهى النفس عن الهوى ونأخذها باتباع الهدى، والحمد لله رب العالمين.